الله وغضب عليه الاية ويجوز ان يراد بالمكان الشرف والمنزلة وان يراد
الدار والمسكن كقوله ايا لعزيقين خير مقاما واحسن نديا ووصف السبيل
بالضلال من الاسناد المجازي وعن النبي صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم
القيمة على ثلاثة اثلاث ثلث على الدواب وثلث على وجوههم وثلث على اقدامهم
يمشون تسلا ولقد اتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا
الوزارة لاتنافي النبوة فقد كان يبعث في الزمن الواحد انبياء ويومرون بان
يوازر بعضهم بعضا فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بايانا فدمرناهم
تدميرا والمعنى فذهبا اليهم فكذبوهما فدمرناهم كقوله اضرب بعصاك البحر فانفلق
اي فضرب فانفلق اراد الاختصار فاقتضت فذكر احدى شيئيتها اولهما واخرهما لانهما المقصود
من القصة بطولها اعني الزام الحجة ببعثه الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم
وعن علي رضي الله عنه ودمرناهم وعنه فدمراهم وقرئ فدمرتهم على التاكيد بالتون
الثقيلة وقوم نوح لما كذبوا الرسل اغرقناهم وجعلناهم للناس اية
كان الرسل كلهم كذبوا نوحا ومن قبله من الرسل صريحا وكان تكذيب بعضهم تكذيبا
للجميع اولم يرو ابعثة الرسل اصلا كالبراهمة وجعلناهم اغرقناهم
وقصتهم واعتدنا للظالمين عذابا اليما للظالمين اما ان يعني بهم قوم نوح
واصله واعتدنا لهم الا انه قصد تظليمهم فاظهر واما ان يتناولهم بعمومه وعادا
وثمود واصحاب الرس عطف عادا على هم في جعلناهم او على الظالمين لان
المعنى ووعدنا الظالمين وقرئ وثمودا على تاويل القبيلة واما المنصرف فعلى
تاويل الحي او لانه اسم الاب الاكبر قتل في اصحاب الرس كانوا قوما من عبدة
الاوثان فاتاهم الاصنام اصحاب آبار وموائش فبعث الله اليهم شعيبا فدعاهم
الى الاسلام فتمادوا في طغيانهم وفي ايذائه فبينما هم حول الرس وهو البئر غير
المطوية عن ابي عبيدة انهارت بهم فخسف بهم وبديارهم وقيل
الرس قرية بفلج اليمامة قتلوا نبيهم فهلكوا وهم بقية ثمود وقوم صالح وقيل
هم اصحاب انبي حنظلة بن صفوان عليه السلام كانوا ممتلئين بالعنفاء وهي
اعظم ما يكون من الطير سميت لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال
له فتخ وهي تنقض على صبيانهم فتخطفهم فاعوزها الصيد فدعا عليها حنظلة
فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوا حنظلة فاهلكوا وقيل هم اصحاب لاخدود
والرس هوالاخدود وقيل الرس بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار
وقيل كذبوا نبيهم ورسوه في بئر اي دسوه فيها وقرونا بين ذلك كثيرا
اي بين ذلك المذكور وقد يذكر الله اكرا شيا مختلفة ثم يشير اليها بذلك ويحسب
الحاسب اعدادا متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت على معنى فذلك المحسوب
والمعدود وكلا ضربنا له الامثال بينا له القصص العجيبة من قصص
الاولين ووصفنا لهم ما اجروا اليه من تكذيب الانبياء وجرى عليهم من
عذاب الله وتدميره وكلا تبرنا تتبيرا والتتبير التفتيت والتكسير ومنه
التبر وهو كسار الذهب والفضة والزجاج وكلا الاول منصوب بما دل
عليه ضربنا له الامثال وهو انذرنا واحدا واحدا والثاني يتبر نالانه فارغ له
ولقد اتوا على القرية التي امطرت مطر السوء اراد بها القرية سدوم من قرى
قوم لوط وكانت خمسا اهلك الله اربعا باهلها وبقيت واحدة ومطر
السوء الحجارة يعني ان قريشا مروا مرارا كثيرة في متاجرهم الى الشام على
تلك القرية التي اهلكت بالحجارة من السماء افلم يكونوا في مرارهم ورهم يرونها
ينظرون الى اثار عذاب الله ونكاله ويذكرون بل كانوا قوما كفرة بالبعث

لا يرجون

لا يرجون لا يتوقعون نشورا وعاقبة فوضع الرجا موضع التوقع لانه
انما يتوقع العاقبة من يؤمن فمن لم ينظر ولم يذكر ولم يؤمن بها كما مرت
ركابهم اولا يأملون نشورا كما يأمله المومنون لطمعهم في الوصول الى ثواب اعمالهم
اولا يخافون على اللغة النهامية واذا راك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا
اهذا الذي بعث الله رسولا ان كاد ليضلنا ان الاولى نافية والثانية
مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها واتخذونه هزوا في معنى استهزا به
والاصل اتخذونه موضع هزوا ومهزوة به اهذا محكي بعد القول المضمر وهذا
استصغار وبعث الله رسولا واخراجه في معرض التسليم والاقرار وهم على
غاية الجحود والانكار سخرية واستهزاء ولوم ليستهزؤا القالوا اهذا الذي زعم
اوادعى انه مبعوث من عند الله رسولا وقولهم ان كاد ليضلنا دليل
على فرط مجاهدة رسول الله في دعوتهم وبذله قصارى الوسع والطاقة
في استعطافهم مع عرض الايات والمعجزات عليهم حتى شارفوا بزعمهم ان يتركوا
دينهم الى دين الاسلام لولا قوة لجاجهم واستمساكهم بعبادة الهتهم فلذلك قالوا
عن الهتنا لولا ان صبرنا عليها ولولا في مثل هذا الكلام جار من حيث
المعنى لا من حيث الصنعة مجرى التقييد للحكم المطلق وسوف يعلمون
حين يرون العذاب من اضل سبيلا وعيد ودلالة على انهم لا يفوتونه
وان طالت مدة الامهال ولابد للموعود ان يحضره فلا يغرنهم التاخير وقوله
من اضل سبيلا كالجواب عن قولهم ان كاد ليضلنا لانه نسبة الرسول الله
عليه السلام الى الضلال من حيث لا يضل غيره الا من هو ضال في نفسه
وبروي انه من قول ابي جهل لعنه الله ارايت من اتخذ اله هواه افانت
تكون عليه وكيلا من كان في طاعة الهوى في دينه يتبعه في كل ما ياتي ويذر
لا يتبصر دليلا ولا يصغي الى برهان فهو عابد هواه وجاعلة اله فمن يقبل
لرسوله هذا الذي لا يرى معبودا الا هواه كيف تستطيع ان تدعوه الى الهدى
افتتوكل عليه وتجبره على الاسلام وتقول لابد ان تسلم شئت او ابيت
ولا اكراه في الدين وهذا كقوله وما انت عليهم بجبار لست عليهم بمصيطر
وبروي ان الرجل منهم كان يعبد الحجر فاذا راى احسن منه رمى به واخذ
اخر ومنهم الحارث بن قيس السهمي ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون
ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا ام هذه منقطعة معناه بل تحسب
كان هذا المنزلة اشد من التي تقدمتها حتى حقت بالاضراب عنها اليها وهي
كونهم مسلوبي الاسماع والعقول لانهم لا يلقون الى استماع الحق اذانا ولا الى
تدبره عقلا اومشبهين بالانعام التي هي مثل في الغفلة والضلالة ثم اوضح
ضلالة منها فان قلت لم اخر هواه والاصل قولك اتخذ الهوى الها
قلت ما هو الاتقديم المفعول الثاني على الاول للعناية كما تقول
علمت منطلقا زيدا لفضل عنايتك بالمنطلق فان قلت ما معنى
ذكر الاكثر قلت كان فيهم من لم يصده عن الاسلام الاباء واحد وهو
حبيل لرياسة وكفى به داء عضالا فان قلت كيف جعلوا اضل
من الانعام قلت لان الانعام تنقاد لاربابها التي تعلفها وتتعهدها
وتعرف من يحسن اليها ممن يسيء اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها
وتهتدي لمراعيها ومشاربها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه
اليهم من اساءة الشيطان الذي هو عدوهم ولا يطلبون الثواب الذي هو
اعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو اشد المضار والمهالك ولا يهتدون

Copyright Reading

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)